الشهيرة بصفاقس هو أنهم عرفوا استعمال عقدة المغارسة فانتفعوا من جهود الاهالي وتجاربهم وكوّنوا غابة صفاقس التي تعتبر أهم وأخصب ما أنتجته المشاركة في العمل بين الفرنسويين والتونسيين في ميدان الفلاحة ، وتربية الغنم بجنوب القطر الجزائري كلها مبنية على عقد شركات بين رعاة الصحراء وفلاحي النجاد ، واستعمال هاته العقد يسر لكثير من المعمرين الفرنسويين امتلاك العدد العديد من الغنم وساعدهم على توسيع دائرة حركتهم الاقتصادية .

ان هؤلاء الفرنسويين لم يحطوا من قدرهم بالتعاقد تحت حكم الفقه الاسلامي وإنما استعملوا طرقاً غذتها قوّة التجربة والبقاء ، وأدتهم حكمتهم الى الالتحاق ببعض نظم البلاد التي استوطنوها وكان لهم في ذلك ربح وفائدة .

هذا ومن المعلوم أنه توجد نظامات محلية لا توافق بحال طبيعة العنصر الداخل الذي يتجنب منها انقياداً لنفسيته وهي في الغالب النظامات المتعلقة بالحالة الشخصية والارث فاذا لم تكن لها في نظره قيمة تقليد فأمر مسلم لأن عقلية الجنس فيها اكثر أثراً من طبيعة ظروف المكان .

يتبين مما تقدّم أن للفرنسويين منافع في استعمال بعض النظم التي وضعها الفقه الاسلامي ولاستعمالها في مواضعها يتعين عليهم أن يعرفوا أحكامها وهذا مما يؤكد وجه المنفعة من الابحاث المتعلقة بالفقه المتحدث عنه .

ونزيد كلمة ، وهي أن الاحكام ـ كالعوائد والآداب والفنون ـ لها حظّ في تكوين أخلاق الامة ، وعليه فلا يمكننا الاستغناء عن درس ما يتعلق منها بمسلمي أفريقية الشمالية الذين هم تحت حمايتنا إذا أردنا أن نؤسس علائقنا معهم على المعرفة لا على مطلق الاستبداد .

اوكطاف پيل

العرب بأميركة

منذ قرنين قبل كلومبس

نشرنا في العدد السابق مقالا في هذا الموضوع للسيد مصطفى ابراهيم ، وبهاته المناسبة بعث الينا الاديب الفاضل السيد اديس الحريشي ببحث للسيد أحمد توفيق المدني كان نشره سنة ١٣٤٨ في مسألة تناولها بعض العلماء من غير أن يتوصلوا في شأنها الى حل مرضي حتى الآن وهي مسألة «اكتشاف القرطاجنيين لاميركة حوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح » والى القراء ما كتبه السيد توفيق المدني في هذا الصدد باختصار :

كانت المدنيات قديماً حول البحر المتوسط ثلاثة تقتسم الحوض الشرقي من ذلك البحر أولها مدنية الاغريق في الشمال مدنية الفلسفة والحكمة والفن الجميل ، وثانيها مدنية مصر في الجنوب ، مدنية الابهة والعظمة والعلوم ، وثالثها مدنية العرب الفنيقيين في الشرق مدنية الصناعة والعمل والمغامرة والاستعمار .

والفنيقيون من ابناء قبائل كنعان أصلهم من شمال جزيرة العرب الشرقي على ساحل خليج فارس ومنها هاجروا الى سوريا ، وهم أول من انشأ السفن وشقوا عباب البحر مغامرين .

وفي سنة ١٠٠٠ قبل المسيح أمّ جماعة منهم جهات المغرب واختلطوا بالبربر ابناء البلاد وأنشأوا مستعمرات على السواحل واستمر اختلاط البربر مع العرب الفنيقيين مدة ستمائة عام قبل تأسيس الدولة القرطاجنية وبهذا دخلت اللغة العربية الى بلاد شمال أفريقية ابتداء من سنة الف قبل المسيح ، وكلامهم كان شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصاً بنواحي العاصمة التونسية ، وبجزيرة مالطة قبل ان تختلط اختلاطاً فاحشاً بمختلف اللغات الاوربية ، ونشأت قرطاجنة وازدهرت وكان لسانها الرسمي هو اللسان الكنعاني العربي كما دلت عليه حفريات وقع العثور عليها ولم يكن القرطاجنيون بعد أن خرب وطنهم الاصلي فنيقيا يقتنعون بالممتلكات التي لديهم فأسسوا جمهوريتهم الوطنية في الارض الافريقية ثم أرسلوا بحارتهم يجوبون مختلف النواحي ليكتشفوا البلاد وليؤسسوا المدن الساحلية وهكذا وصلت سفنهم

الى جزائر انكلترا شمالا والى بلاد الكامرون جنوبا .

ولقد كان تاريخ الدنيا بأسرها ينقلب ظهراً على عقب لو أن قرطاجنة استمرت على توسعها السلمي وأعمالها التجارية العظيمة ولكن ماكادت تشرق شمس القرن الثاني قبل المسيح حتى قام نزاع عنيف بينها وبين الدولة الرومانية التي انتظمت عندئذ حديثا ببلاد ايطاليا ، وكان ما يعلم من حروب انتهت بتحطيم قرطاجنة واعدامها ، وان الانسان ليزداد ادراكا لهول تلك المصيبة متى علم أن القرطاجيين فتحوا في أواخر أيامهم — وحوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح — قارة أميركة ، فقد عثر على أثر لاكتشافهم في بلاد البرازيل الدكتور لادبز لونيتو ، وهذا الاثر الذي نشر في الجزء الاول من كتاب «انترو بولوجيا» الانكليزي عبارة عن رخامة منقوشة فوق قبر تشمل خلاصة تاريخ الاكتشاف والمثال السيء الذي آل اليه البحارة المكتشفون، وهذا نص الحفرية مع مقابله العربي العامي في شمال أفريقية ومقابله العربي الفصيح :

الجملة الفنيقية	مقابلها بالعامي العربي في شمال افريقيا	مقابلها العربي
هنا احنا بني كعنان م فرنم حقرة حمل	هنا أحنا بني كعنان من فرانم حملنا الحقرة	هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار
اوش حر حصل هك	موش حرام نحصلوا هكا ؟	اليس حراماً أن نحصل هكذا
لا عنا ازيد حيا قتار	ما تزدادش الحيات عندنا أكثر	لا تزيد الحياة عندنا أكثر
في حيرم النـاس تا بحر	في الهم الناس متاع البحر	أن ناس البحر في الهم
العلى كلوم	الحزن كلاهم	الحزن أكلهم
أو على كان تر سنا تاسعة او عشرة	والحزن كاين ترى السنا تسعة او عشرة	والحزن كائن وهذه السنة هي التاسعة أو العاشرة
الحرامي ملك هنا عبيد ولاح لا اوم	الملك الحرامي هنا لوح عبيدو لاش ما هوش معهم	الملك الحرامي هنا رمى بعبيده لماذا ليس هو معهم
عفوا لي دبر بهم شا جا اول الشع	اعرفوا اللى دبر بهم باش جا اول الشرع	اعرفوا أنه دبر بهم لكي يتوصل الى أول مناصب القضاء
عما هنا هي تا عسرة كي الحي حبي ما هي حر	الحما هنا عسيرة كيف الحي يحب الماء يلقاه حار	الحمى هنا عسرة فاذا أحب الحي ماءً وجده حارا
أو ستم سلم اش برنار فينا	ولوكان هذا برك نصبر ولكن أش ها البر النار تشعل فينا	لو كان هذا فقط لكن ما هذا البر ؟ النار تشعل فينا
حامي أو البر هنا ما غير بعل اولى أن	حامي البر هنا ما غير بعل هو اللى عان	البر هنا حام وما غير بعل الذي هو أعاننا
حتى خبر اللون	حتى خبر الهون	لايصلنا أي خبر الى هنا
راحلهم سنا م عشرة ماتم	راحلتهم السنا مع عشرة ماتوا	رحلت عنهم السنة ومعها عشرة ماتوا
كسنا ست ناس مبايح را تاسو	بقينا ستا ناس مبيوعين رانا نعسو	بقينا سنة اناس مباعين نقوم بالعسة
كي مات عصبط عبد هبلت أي عليه	كيف مات عصبط العباد هبلت عليه	لما مات السبط أصاب العباد الاختبال عليه
ولو عالى كانت ايا حنانة	قتل الحزن كانت موته حنانة عليه	قتله الحزن لكن موته كان حناناً الهيا عليه

وبقي شيء : ما الذي يدلنا على أن القرطاجنيين هم الذين قاموا بذلك الاكتشاف ولِمَ لا يكون أهل فنيقيا انفسهم هم الذين ساروا الى أميركة من سواحل وطنهم لبنان ؟ وما الذي يدلنا على أن ذلك الاكتشاف وقع حوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح ؟ والجواب على هذين السؤالين يتعلق بدراسة الخطين الفنيقي الاصلي والفنيقي الحديث ، فالكتابة التي على الرخامة المنقوشة هي كتابة العصر الاخير من التاريخ القرطاجني ومن مقابلة الخطوط الفنيقية والقرطاجنية المختلفة يدرك أن هذه الكتابة قد كتبت قبل تحطيم قرطاجنة بقليل بين الحرب البونقية الثانية والحرب الاخيرة أي حوالي سنة ١٢٥ قبل المسيح .

ونفهم من كلام البحارة المنقوش فوق قبر السبط أن قصة الاكتشاف تنحصر فيما يلي :

غادر اولئك البحارة بلادهم مع « الملك » لاكتشاف أرض جديدة فلما وصلوا الى ذلك الموضع من الارض رجع ملكهم الى الوطن وترك عصبط « السبط » ناظرا ، وكانوا ينتظرون عودة الملك صحبة مدد لكن طال انتظارهم بدون جدوى ، حتى استولى

عليهم الياس والقنوط ، ومرت عليهم نحو العشرة أعوام مات فيها أكثرهم فلم يبق منهم الا ستة أشخاص ومات ناظرهم السبط فانزعجوا وذهبت عقولهم عند موته والظاهر أنه قد كان تعلقهم به شديدا واحترامهم له بالغا حده ، ولما استولى عليهم الياس والقنوط ولم يروا المدد ولم يرجع اليهم الملك ظنوا به سوءاً واتهموه بأنه دبر بهم مكيدة واكتشف بهم ذلك الصقع ثم تركهم لكي يتولى منصب القضاء السامي بأرض الوطن ، وسجلوا تهمتهم تلك على صفحات الحجارة ليصدر التاريخ حكمه على الملك الذي سبب لهم تلك المحنة وذلك الموت الزؤام .

فهل هذه التهمة التي يتهمون بها ملكهم صحيحة ؟ اننا لا نظنها كذلك واليك الاسباب :

الاول — ان ذلك الزعيم المكتشف الذي يسمونه ملكا لم يكن ليترك اكتشافه الذي يدر عليه الخيرات الجسام لولا وقوع حادث قاهر منعه من العودة الى الارض المكتشفة .

الثاني — ان قرطاجنة نفسها التي كانت تبذل جهدها للتوسع التجاري واكتشاف البلاد الجديدة لم تكن لتترك طوعاً واختياراً ذلك الاكتشاف يضيع بدون أن تستثمره .

الثالث — أنه لا يمكن لذلك الملك أن يتوصل حقيقة لبلوغ المنصب السامي الذي يتهمه البحارة بالاحراز عليه بواسطة ذلك الاكتشاف الا اذا أكده بحارة آخرون بواسطة أسفار اخرى ، والا فان دعوة « الملك » المكتشف تكون لا دليل لها .

وعلى فرض وصوله حقاً للمنصب السامي ، واكتفاء قرطاجنة بشهادة البحارة الذين رجعوا معه فهل لم يكن من المحتم ان بحارة آخرين او من نفس الذين رجعوا مع الملك يسيرون من جديد نحو العالم الجديد ؟

ثم من أعلم اولئك البحارة أن ملكهم قد دبر بهم لكي يصل الى ذلك المنصب ؟

فعدم رجوع أي فريق من القرطاجنيين لاميركا يدلنا على وقوع احد امور ثلاثة :

اما أن يكون القرطاجنيون قد جهزوا مراكبهم وعزموا على السفر للبلاد المكتشفة لكن الاسطول الروماني قد حطم تلك المراكب وأتلفها .

واما أن يكون ذلك الملك وبحارته قد وجدوا قرطاجنة تحت خطر الموت فلم يفكروا الا في الدفاع الوطني حتى قضت المدينة نحبها وقضوا معها .

ولربما لم يرجعوا أصلا الى قرطاجنة بأن أغرقتهم الزوابع عند الرجوع ، أو أغرقهم الاسطول الروماني .

فيأس اولئك البحارة المستعمرين وطول محنتهم واشتداد الكرب عليهم هو الذي جعلهم يسيئون الظن بملكهم ويتهمونه ولا يقرأون حساباً لما عسى أن يكون قد اعترضه من عوائق في الرجوع .

ولما انتهى أمر قرطاجنة ، ولم يبق فيها حجر على حجر ، وبيع من بقي من اهلها بيع الرقيق ، لم يكشف احد من الباقين سر ذلك الاكتشاف للرومان ، وعلى فرض أن هؤلاء علموا به فقد كان لهم من حروبهم الفتاكة وتسلطهم على العالم القديم كله ما يشغلهم عن اكتشاف قارات جديدة .

وهكذا كانت سياسة الفتح الروماني سبباً في بقاء قارة اميركا مجهولة مدة ستة عشر قرناً اخرى .

حول الترجمة والتاليف والنشر

كتاب عن الاندلس

هل يعلم القارئ أن تاريخ العرب في الاندلس لم يكتب بعد وأن المواد اللازمة لكتابته لا زالت مبعثرة في شتى الخزائن ، وأن تلك المواد اندثر منها ما هو عربي أو كاد يندثر والاسبانية منها لم تترجم للغة العربية ؟ ولا اقصد بتاريخ الاندلس ما هو متداول بين الناس من تاريخ الفتح والحروب والغزوات بل اقصد كل ذلك واكثر منه وغيره واعني روح التاريخ وفلسفته ودرسها بتدقيق واطناب حتى تظهر بذلك حضارة العرب في الاندلس بمظهرها اللائق بها مع بيان اسباب علوّ كعبها وانحطاطها وذلك بصفة عامة مع مقارنتها بغيرها من الحضارات العالمية وقد سدّ بعض هذا الفراغ احد كبار المستشرقين الآن وهو الدكتور ليفي بروفانسال مدير معهد الابحاث العالية المغربية ذلك المعهد الذي شاء مؤسسه المرشال ليوطي أن يشرف على رباط الفتح كما يشرف غيره من المعاهد على عاصمة باريس من فوق قمة سانت جنيفياف وان للمستشرق